اليزيدية

جماعة من الناس يقطنون قرب الموصل ويوجد عدد منهم فى سوريا ويدعى بعض الباحثين ان اسمهم مشتق من لفظة (يزدآن) فيكون اسمهم (الالهيين) ولكن ينسبهم البعض الى مدينة يزد الفارسية فهم حسب زعم هؤلاء طائفة مجوسية أصلا ويدعى غيرهم بانهم قد دعوا كذلك لانهم ينتسبون الى يزيد بن معاوية ، وفريق يقول بل هم بقايا فرقة الاباضية اتباع يزيد بن أبى أنيسه . ولكنى أرى صواب رأى أحمد تيمور المثبت فى كتابه « اليزيدية » فى أنهم كانوا طائفة صوفية اسلامية تتبع طريقة خاصة (الطريقة العدوية) ثم غلوا فى شيوخهم غلوا كبيرا حتى أوصلوهم الى درجة الالوهية . كذلك اعتقد شخصيا أنه لم تكن للعرب (ثقافة) يعتدبها فلم يكن فى مقدورهم والحالة هذه اكتساح ثقافات الامم التى استعبدوها فبقيت كل أمة بعقلية ومعتقدات تتفاوت عن بعضها ولكن قد ارتدت كافة الامم المغلوبة على أمرها برداء الاسلام إما لكى تدفع شرا عن نفسها أو كى تجنى من ورائه خيرا لها . وحدث من الامتزاج بين الامم المختلفة امتزاج فى المعتقدات والعقليات تكيفت زبدها الى ما يسمونه المدنية الأسلامية

فليس من البعيد اذن أن تكون اليزيدية مزيج من الاسلام والزرادشتية والمسيحية بدرجة عظيمة ويكون للميول السياسية التى جاشت فى صدور بعض الزعماء دخل فى انتسابها ليزيد بن معاوية كما سنبين ذلك بعد . ليس فى الامكان الجزم بتعاليم هذه الطائفة فهى سريه ولكن الاخبار التى جمعها الباحثون — ولو أن فيها تناقض وشئ كثير من التحريف والغلو — تعطيك ولو فكرة مبهمة فيها شئ من الصحة

ينسب المسلمون الى اليزيدية اباحة الزنا عند حصول التراضى، وتمكين اليزيديين شيوخهم من نسائهم. ولكن المطلع على كتابات المسلمين يجد انهم يرمون جميع الطوائف الاسلامية الاخرى بهذه التهمة مثل الدروز والنصيرية والاسماعيلية ومن المؤكد

ان الاولين لايتبعون هذا النظام وكذلك لم يثبت ان الاخيرين يزاولونه . وكذلك يدعون ان اليزيدية تصف آلهها بالصفات البشرية من أكل وسير ونوم وقد يكون قولهم هذا ناتج من اعتقاد اليزيديين بالتناسخ

وهناك بعض ادعاءات قد يكون لها نصيب كبير من الصحة مثل عدم اهتمام اليزيديين بالصلاة لقولهم بان طهارة القلب توجب منها، ومثل تفضيلهم الشيخ عدى عن محمد نبي الاسماعيليين (المسلمين) ولكن ما الذي يمكننا استخلاصه من قول كتاب المسلمين من ان اليزيدية تنكر القرآن والشرع ويبدلونهما باقوال أحد شيوخهم، فخر الدين ، الملقب بخالق الانسان والحيوانات وذلك عند ما تواجه قول غيرهم بان اليزيديين يحتفظون فى بيوتهم بمصاحف يطمسون فيها لفظة الشيطان. بل كيف نصدق القول الاول فى حين نسمع انهم يحاولون السير طبقا لاحكام القرآن عند اكتفائهم بصيام ثلاثة أيام من رمضان اعتمادا على « للحسنة عشرة أمثالها » أى ٣ أيام صيام × ١٠ حسنات = ٣٠ يوماً صياماً ؟ فى الحالة هذه يمكننا أن نؤكد فقط بان اليزيديين يفسرون القرآن بغير مايفسره به السنيون

يقال إن مؤسس هذه الطائفة هو الشيخ عدى (أو عادى) وكان أحد تقاة متصوفة المسلمين ويختلفون فى الرجوع بنسبه . فمنهم من يرجعه الى مروان بن الحكم ومنهم من يرجعه إلى الحسن البصرى ومنهم من يرجعه حتى الى عدنان وبعضهم يقول إن اسم شيخهم هو شرف الدين أبو الفضائل الملقب بالهادى وحرف لقبه الى (آدى) السريانية وهذه انقلبت عادى (وعدى) .جمع الشيخ حوله نفراً فى مدينة (لالش) التى تبعد عدة كيلو مترات عن الموصل ومات فدفن مكان مذبح دير كان للنساطرة هناك ويزعم البعض أن هذا الدير كان للقديس أدى (أو آدى)

فلما مات الشيخ عدوه اماماً ولم يلبثوا إلا قليلا حتى اعتبروه نبياً وأخيراً اختلفوا فيما إذا كان إلهاً أم لا. فيقول بعض اليزيديين إنه إله . ولكن يقول البعض الآخر منهم بأنه قد ساهم الله فى ملكه فاختص الآله بحكم السماء واختص شيخهم بحكم الارض . وهناك من يقول منهم بكل تواضع : بل كان الشيخ الوزير الأكبر الذى لاينفذ الآله أمراً إلا بمشورته

وتبع ذلك أنهم أخذوا يسجدون لـ (اللالش) معبدهم المنسوب الى مدينة لالش وهو كعبتهم وسادنها في الوقت الحاضر أكبر شيوخهم مقاما وأركزهم علما

وهناك من الرواة من ينسب اليهم الاعتقاد بأن الله قد أرسل هذا الشيخ — قبل أن يخلق آدم — من أرض الشام الى ناحية لالش ومعنى هذا القول أنهم يعتقدون فيه الرسالة أو النبوة

ويتبرك الزيديون بتراب حرمهم (اللالش) فيعملون منه كرات صغيرة يحتفظون بها ويأكل العروسان شيئاً منه وقت الزواج ، كما وانهم يملأون فم الميت به قبل دفنه

أما القائلون بانتساب اليزيدية إلى يزيد بن معاوية فلهم استنتاج معقول يتلخص في أن يزيد هذا قد رمى بالاستهتار والمروق فغالى البعض في اتهامه وذمه ، الأمر الذي نتج عنه وقوف البعض في صفه . وربما كان شيخ اليزيدية أحد المحسنى الظن بيزيد ، بفكرة أن الاشاعات السيئة قد روجها عنه أعداؤه بعد قتل الحسين . فغالى اليزيديون بعدئذ في هذه الفكرة إلى أن وضعوا يزيدهم هذا ضمن آلهتهم السبعة

هناك معضلة أخرى هي كيفية دخول الشيطان في عبادة اليزيديين . أولا يسلم المسلمون بنظرية سقوط ابليس أثر رفضه السجود لآدم ، وبنظرية كونه كان قبل سقوطه ملكا ، إن لم يكن من كبار الملائكة . والمتوارد بين المسلمين أنه كان رئيسهم وأكبر خزنة الجنة . فلم لا يكون اليزيديون قد أضافوا إلى ماسبق أنه خلق يوم الاحد وهو أول أيام الخلق ؟

وليس ببعيد على (الفلسفة) الاسلامية انشاء طريقة تفكير كهذه ، إن رفض ابليس السجود عمل في محله لانه قد رفض السجود لغير سيده (إلهه) وبذلك لم يشرك وظل دون غيره الموحد الأوحد فيجب عليهم والحالة هذه تقديسه ،

. ولكن يجب أن نتذكر أيضاً الرهبة التي تتواجد من مجرد ذكرى الشيطان بين الفطريين — وحتى بين عامة العصر الحالي — وأن نتذكر أيضاً ان الزرادشتيه قالت (بالهين) اله للخير وآخر للشر فلم لا يقتبس اليزيديون هذه الفكرة فيزعمون ان الله لا يفعل الا الخير ، وانه لا يفعل الشر أبدا ولكنهم لا يلبثون حتى يجردوا الله عن القدرة على اقتراف الشر (أليست هذه فلسفة ؟)

وكان ابليس أصل المصائب والشرور يخيفهم بالطبع فراموا أن يتزلفوا إليه ليأمنوا .

شره (بخلاف الله الذى لم يكن فى مقدوره أذاهم فتركوه جانبا) فهل يستبعد أن لا يقتصروا على وصف ابليس بالشر ويصفونه بعمل الخير أيضاً ؟ بهذه الطريقة التحولية انحصرت عبادة (تزلف) اليزيديين للشيطان — دون الله الذى لا ينكرون وجوده .

وبلغت بهم درجة الخوف الى عدم ذكر اسم الشيطان ولا حتى ما يشتق منه هذا الاسم أو ما يماثله من الألفاظ فرمزوا له بالطاووس (الطير الدجاجي المعروف) فيقولون إذا أرادوا ذكره ، طاووس ملك . ولبعض الباحثين رأي فى هذه التسمية فيقولون ان اللفظة المقصودة هى تاموس Taôs اليونانية ومعناها (الله) فلما وجدوا تشابهاً بينها وبين اسم الطاووس اتخذوا الطاووس لهم رمزا

ولانهم يعتقدون فى التناسخ عبدوا الكواكب بعد أن اتخذوها أولا مثار لكبارهم وآلهتهم بعد أن يفارقوا هذه الحياة الدنيا

كتب اليزيديين المقدسة

(١) القرآن مع التحريف والشرح المخالف لشرح السنيين له

(٢) الجلوه كتاب الله الذى يبين لهم فيه قدرته وصفاته وينبئهم بأن هذا الكتاب دون غيره لم يحدث به تغيير ولا نسخ

(٣) مصحف رش (الكتاب الاسود) وهو بمثابة (سفر التكوين) عند اليزيديين وفيه بيان عن كيفية الخلق مع القول بان اليزيدية هم نسل آدم وحده فى حين ان بقية الأمم من نسل آدم وحواء . وفيه قصتان للطوفان أولاهما قصة طوفان نوح والثانية قصة طوفان حدثت منذ سبعة آلاف سنة فقط ظهر فى أول كل ألف منها إله . وأول هؤلاء الآلهة السبعة (طاووس ملك) وثانيهم (يزيد بن معاوية) والثالث شيخهم عدى (عادى) ورابعهم أحد شيوخهم (شمس الدين حسن) المدعو (درداتيل) ويلقبونه بالبصرى وهو الذى ينتظرون رجعته . وأما أسماء آلهتهم الثلاثة الباقية فلم أتمكن من ضبطها . وأهم هؤلاء السبعة الطاووس . وأما مراتبهم لديهم فدون مرتبة الله . أتى كل منهم بشريعة فرق فيها بين الحرام والحلال وأبان بها الواجب عليهم اتباعه خلال ألف سنة من يوم هبوطه

هذه هى الخلاصة المضطربة التى تمكنت من استنتاجها مما قرأته وقد رتبتها على نسق أعتقد انه فكرة ولو مبهمة عن دين هذه الطائفة السرى

عمر عنايت